أشكال التبادل الاجتماعي ومحدداته عبر تفاعلات الحياة اليومية
دراسة سوسيوأنثروبولوجية علي عينة من الأسر لمنطقة ريفية وحضرية

إيمان خلاف صابر (*)

مقدمة:

تنشأ الحياة الاجتماعية نتيجة للتفاعل بين الأفراد. فإذا تقابل عدد من الأفراد وجهًا لوجه يبدأ الاتصال، والتفاعل بينهم، وعن طريق هذا التفاعل تنشأ العمليات، والعلاقات الاجتماعية، وتتكون الجماعات البشرية، وتتبلور النظم والأنساق الاجتماعية، ويتشكل المجتمع الإنساني، فالكثير من العلماء يجعلون العلاقات الاجتماعية التفاعلية المحور الأساسي، ويتجهون إلى دراسة المجتمع الإنساني بأكمله من خلال دراستهم لأنماط التفاعل الاجتماعي، ومظاهره والتبادل الذي يحدث خلالها، بحيث لا يعيش أفراد المجتمع منعزلين عن بعضهم البعض، وإنما يتصل الواحد منهم بالآخر ويؤثر فيه ويتأثر به، وعن طريق هذا التأثير المتبادل تتشكل الحياة الاجتماعية، وينشأ المجتمع الذي يتألف من كل العلاقات التفاعلية التي تربط الأفراد في كل متكامل.(١)

ويأخذ التفاعل الاجتماعي أنماطًا مختلفة تتمثل في التعاون، والتكيف، والمنافسة، والصراع، وحينما تستقر أنماط التفاعل، وتأخذ أشكالاً منتظمة فإنها تتحول إلى علاقات اجتماعية كعلاقات الأبوة، والأخوة، والزمالة، والسيادة، والخضوع، والسيطرة.(٢)

يوضح ما سبق أن التفاعل الاجتماعي يقوم على أساس مجموعة من المعايير التي تحكم هذا التفاعل من خلال وجود نظام معين من التوقعات الاجتماعية في إطار الأدوار، والمراكز المقدرة داخل المجتمع.

(*) هذا البحث من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [أشكال التبادل الاجتماعي ومحدداته عبر تفاعلات الحياة اليومية دراسة سوسيوأنثروبولوجية على عينة من الأسر لمنطقة ريفية وحضرية] تحت إشراف أ.د. علي محمود أبو ليلة (رحمه الله) كلية الآداب – جامعة عين شمس & أ.د. علي محمد المكاوي – كلية الآداب – جامعة القاهرة & أ.د. مديحة أحمد عبادة – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) هذال بن هلال العتيبي: أثر استخدام شبكة الإنترنت على العلاقات الاجتماعية "دراسة ميدانية مطبقة على عينة من مستخدمي الإنترنت في مدينة الرياض" رسالة دكتوراه (غير منشورة)، تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٣م، ص ٧١، ٧٢.

(٢) طبيش ميلود: الاتصال التنظيمي وعلاقته بالتفاعل الاجتماعي للعاملين بالمؤسسة "دراسة ميدانية بإذاعة سطيف الجهوية" رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة قاصدي مرباح-ورقلة- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم علم الاجتماع، ٢٠١١، ص ٨٣.

وعلى ذلك فالحياة الاجتماعية ما هي إلا عملية تبادل، وتفاعل بين الأفراد فأطراف التفاعل تأخذ، وتعطي لبعضها البعض، فالأخذ، والعطاء يعد أساس قيام العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، فسلوك الإنسان يتميز بالطبيعة المزدوجة التي تدفعه للاتجاه للآخرين في حركة أخذ، وعطاء متبادل، وهو بذلك لا ينطوي على ذاته. فمبدأ التبادل بين الأفراد في المجتمع يعد الأساس الذي تقوم عليه العلاقات الاجتماعية، فالأفراد يتبادلون العواطف، والخدمات، وفي تبادلهم يسعون إلى تحقيق أكبر ربح ممكن بأقل تكاليف، أو خسائر ممكنة.

أولاً: قضية الدراسة:

يرتبط الأفراد في المجتمع بعلاقات، وروابط متعددة تنشأ عن طبيعة اجتماعهم، ومن تفاعلاتهم، إذ تضعنا الحياة في شبكة مركبة من العلاقات مع الآخرين، وينمو الطابع الإنساني -عن هذه العلاقات- أثناء التفاعل الاجتماعي، ويترتب على استمرار الصلة بين شخصين أو أكثر ليصبحا مرتبطين ببعضهما البعض من خلال مجموعة ثابتة نسبيًا من العلاقات، ويطلق على هذه الصلة مصطلح العلاقة، فالتفاعل الاجتماعي عبارة عن أفعال ناتجة عن العلاقات الاجتماعية، التي تحكمها مجموعة من الروابط التي يخضع لها الأفراد. (٣)

ولكن تجدر الإشارة إلى أن العالم قد شهد خلال السنوات الماضية تغيرات عميقة الجذور من خلال العولمة، وآلياتها المختلفة، خاصة التطورات الواسعة في ثورة الاتصالات والمعلومات "الإنترنت". ولقد تأثر المجتمع المصري بمجمل التحولات التي يشهدها العالم، فقد شهد تغيرات جوهرية في نظمه الاقتصادية والسياسية، إضافة إلى تحولات اجتماعية، وثقافية واضحة وعميقة، ومما لا شك فيه أن هذه التحولات ألقت بتداعياتها الإيجابية، والسلبية على أنماط التفاعل الاجتماعي، والعلاقات الاجتماعية السائدة بداية من الأسرة وصولا إلى العلاقات الاجتماعية التي تحكم المجتمع ككل.

وفي ضوء ذلك تأتي الدراسة الراهنة لرصد، ووصف شبكة العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الأفراد، ومحددات هذه الشبكة، وما يتم بداخلها من تبادلات، فهناك قدرٌ من التبادل يظهر خلال أي شكل من أشكال التفاعل، وتعدد مستويات هذا التبادل من مستوى الخدمات أو الأشياء المادية إلى مستوى الأشياء غير المادية، وكل فرد يمتلك مجموعة من الروابط الاجتماعية التي تشكل شبكة علاقاته الاجتماعية، وتمتد هذه الشبكة عبر مستويات اجتماعية مختلفة: فهناك المستوى القرابي، ومستوى الجيرة، ومستوى الزملاء، أو الأصدقاء، وداخل هذه الشبكة من الصلات، والروابط الاجتماعية تكمن العديد

(٣) عديلة آمال: الفعل التطوعي في ظل التغير الاجتماعي في الجزائر "دراسة ميدانية لبعض مناطق مدينة الأغواط "رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية ٢٠١١م، ص ٥١.

من الموارد سواء كانت عظيمة، أو فقيرة، وكلما زادت التبادلات، زادت قوة العلاقات الاجتماعية، وفي ضوء ذلك تتبلور مشكلة الدراسة الراهنة في كونها محاولة للكشف عن "أشكال التبادل الاجتماعي ومحدداته عبر تفاعلات الحياة اليومية".

ثانيًا: أهمية الدراسة:

الحياة الاجتماعية ما هي إلا عملية تبادل، وتفاعل بين الأفراد، فأطراف التفاعل تأخذ، وتعطي لبعضها البعض، فالأخذ، والعطاء بين الطرفين يسمح باستمرار العلاقة ويعمقها. أما إذا أسند الفرد علاقته بالأخذ دون العطاء فإن العلاقة لابد وأن تنتهي. ونظرًا لأن المجتمع المصري يشهد مجموعة تحولات متعددة الأبعاد، والتي لها تأثيراتها المباشرة على المنظومة القيمية، والاجتماعية، والاقتصادية، ولفشل بعض الأفراد في تطوير قيم عامة، وروابط، وعلاقات عامة تقوم على الثقة، والاجتماع، ومبادئ عمومية أدى ذلك إلى حالة من التفكك داخل البناء الاجتماعي.

وفي هذا الإطار يمكن تحديد الأهمية النظرية، والمنهجية للدراسة الحالية على النحو التالي:-

(١) الكشف عن طبيعة التبادلات التي تتم في إطار التفاعلات الاجتماعية بأبعادها، وخلفياتها، وآثارها على بنية العلاقات الاجتماعية؛ حيث يعتبر التبادل، والتفاعل، والعلاقات الاجتماعية لُب الحياة اليومية، ولبنة أساسية للتماسك الاجتماعي.

(٢) محاولة كشف الغطاء عن طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة بالمجتمع لأن العلاقات الاجتماعية أصبحت تحكمها العلاقات المادية أكثر من العلاقات الاجتماعية، والفرد يُقيّم على حسب ما يملك، وما يقدم للناس.

(٣) الوصول إلى مجموعة من النتائج، والتوصيات من شأنها أن تساعد على زيادة الترابط، والتماسك، وتقوية، وتدعيم العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع.

ثالثًا: أهداف الدراسة :

تسعى الدراسة الراهنة لتحقيق هدف عام، وهو التعرف على أشكال التبادل الاجتماعي، ومحدداته عبر تفاعلات الحياة اليومية، ويتحقق الهدف العام من خلال تحقيق مجموعة من الأهداف الفرعية، والتي يمكن تحديدها على النحو التالي:

(١) القاء الضوء على طبيعة التبادلات الاجتماعية، وأشكالها في تفاعلات الحياة اليومية.

(٢) التعرف على محددات التبادلات الاجتماعية في سياق التفاعلات الاجتماعية اليومية.

رابعًا : تساؤلات الدراسة :

تثير الدراسة مجموعة من التساؤلات التي تحاول الإجابة عنها، وهذه التساؤلات تقوم على التساؤل الرئيسي التالي:

ما هي أشكال التبادل الاجتماعي؟ وما محدداته عبر تفاعلات الحياة اليومية؟

ويندرج تحت هذا التساؤل مجموعة من التساؤلات الفرعية على النحو التالي:-

(١) ما طبيعة التبادلات الاجتماعية، وأشكالها التي تتم في تفاعلات الحياة اليومية؟

(٢) ما محددات التبادلات الاجتماعية في سياق التفاعلات الاجتماعية اليومية؟

خامسًا : مفاهيم الدراسة:

١- مفهوم التبادل الاجتماعي:

تعد دراسة التبادل هي دراسة الأنثروبولوجيا ذاتها، كما تعد نظرية التبادل ذات أهمية أساسية بالنسبة لعدد من المجالات المتنوعة مثل الأنثروبولوجيا الاقتصادية والقرابة، ونظرية التحالف، والبنيوية ونظرية الفعل، وتحليل شبكة العلاقات الاجتماعية؛ حيث يشير مفهوم التبادل إلى إقامة علاقات اجتماعية، والمحافظة عليها ولكي توجد علاقات يجب أن نتبادل بعض الأشياء.[٤] ويبدأ التبادل الاجتماعي من تفاعل الأفراد وجها لوجه، كما أن التبادل الاجتماعي لا يخضع لقواعد واضحة، كما هو الوضع في التبادل الاقتصادي، ويفترض أن الأفراد يشاركون في عملية التبادل عندما يتوقعون أن المكافآت التي يحصلون عليها أكبر من التكاليف، كما يقوم التبادل الاجتماعي على الثقة المتبادلة بين الطرفين[٥].

وقد استبعد "بلاو" الأفعال التي تقوم على القهر، أو المعايير المعبرة expressive التي لا يتوقع من ورائها الفرد أي عائد[٦].

حيث يشير هنا إلى الأفعال الاجتماعية الاختيارية التي يقوم بها الأفراد، طالما يكافأون عن قيامهم بها، ويتوقفون عن القيام بها، إذا لم تكن هناك مكافأة متوقعة من الآخرين عنها؛ فمفهوم التبادل لدى "بيتر بلاو" يشير لوصف التفاعلات الاجتماعية التي تحدث بين أفراد المجتمع، فهو يرى إن كانت تلك التبادلات مرضية، سوف تؤدي إلى زيادة في التبادلات، فالتبادل يستمر عندما

---

(٤) محمد الجوهري وآخرون: الأنثروبولوجيا الاجتماعية "قضايا الموضوع والمنهج، مطبعة العمرانية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٤٠٨.

(5) David Gefen and Catherine Ridings:Aquasi-Experimental Design Study of Social Exchange Theory, Journal of Management Information Systems, vol.19, No.1, Summer 2002, p47.

(٦) إجلال إسماعيل حلمي: علم اجتماع الزواج والأسرة "رؤية نقدية للواقع والمستقبل" مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٣م، ص١٠٥.

يكون هناك تبادل للمكاسب، ويتوقف هذا التبادل عندما يؤدي إلى خسارة لأحد طرفي التبادل، أو كليهما(٧).

بينما يعرف "جورج هومانز George. Homans" التبادل الاجتماعي على أنه: تبادل في النشاط قد يكون هذا النشاط مجزيًا، أو مكلفًا بين شخصين علي الأقل، وينظر إلي التكلفة علي اعتبارات الأنشطة، أو الفرص البديلة التي يقوم الأفراد باستغلالها (٨).

وينظر "ألبرت تشافينز Albert Chavannes "للتبادل على أنه أساس بناء المجتمع. فيعرفه على أنه تلك العملية التي يقوم الشخص من خلالها بتقديم شيء ما لشخص آخر، ثم يحصل على المقابل على أساس الاقتناع بتقديم تلك الخدمة، فالسلوك الإنساني عبارة عن دافع يحركه إما الشعور بالمسئولية، أو الاهتمام الذاتي عن طريق الأخذ، والعطاء مع الآخرين، ذلك السلوك القائم على العلاقات التبادلية.(٩) ومن ذلك نجد أن "ألبرت تشافينز" يتفق مع "بيتر بلاو" من حيث استبعاده للأفعال التي تقوم على القهر، أو التي لا يتوقع الفرد من ورائها أي عائد.

ومن هنا فالقبول الاجتماعي يلعب دورًا مهما في تبادل التفاعلات، والعلاقات كما تفعل النقود في عملية التبادل التجاري، فيتم التبادل بناًء على رغبة من الطرفين، وقناعة كل منهما.

ويرى "ميلانز فيروسكي Milanz Firouski": أن التبادل عبارة عن حزمة من القواعد من أجل فوائد متوقعة، ومن ناحية أخرى فالتبادل هنا يتطلب خطوطًا إجرائية تبادلية بمعنى تقديم الشيء ثم رد هذا الشيء. (١٠)

ويشير التبادل الاجتماعي عند "مارفن هاريس" إلى أي نمط إنساني للأخذ، والعطاء، يتناول الأشياء، والخدمات ذوات القيمة، وهي عملية مقتصرة، ومحدودة على الإنسان فقط، ومهمة للغاية لما تتضمنه من معان، ودلالات، ولا

---

(7) Pamela Brandes and Others: Social Exchanges Within Organization and Work Outcomes, Group and Organization, Management Vol.29,No.3,June 2004,p.276.

(8) Karen S. Cook And Eric Rice: Social Exchange Theory ,Department OF Sociology, Stanford University, California, Kluwer Academic/Plenum Publishers, New York, 2003, p53

(9) John b. Knox, The Concept of Exchange in Sociological Theory "1884 and 1961" Oxford university, Vol. 41, May 1963. p 344.

(10) Milanze Firouski: Social Exchange Theory under scrutiny, positive critique of its Economic, Behaviorist formations, Electronic Journal of sociology, 2005, p 2,3.

يمكن أن يعيش الإنسان إلا إذا قام بتبادل عمله، أو إنتاجه، وتختلف أنماط التبادل اختلافًا بينًا من ثقافة لأخرى. [١١]

ومن خلال تحليل المفاهيم السابقة نجد أنها تحتوي على مجموعة أبعاد مشتركة وهي:

١- أن سلوك الإنسان قائم دائمًا على العلاقات التبادلية سواء الملموسة، أو غير الملموسة.

٢- يستمر الأفراد في علاقاتهم التبادلية طالما أنها تحقق لهم المكافآت التي تفوق التكلفة.

٣- لا بد، وأن تكون عملية التبادل من الطرفين، فلن يستمر التبادل إذا تم من طرف واحد دون الآخر.

وعلى ضوء ذلك يمكن تحديد المفهوم الإجرائي للتبادل الاجتماعي: هو عملية تبادل المنافع بين أطراف العلاقات الاجتماعية المختلفة على أساس من الاقتناع، والمسئولية. والأخذ، والعطاء يعني وجود شبكة من الاعتماد المتبادل.

٢-التفاعل الاجتماعي:

تكمن القيمة الحقيقية لمفهوم التفاعل الاجتماعي (Social interaction)في كونه مرتبطًا باستمرارية الحياة الاجتماعية للفرد، وما من مفاهيم ومصطلحات بين علماء الاجتماع، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس الاجتماعي، وغيرها من العلوم الاجتماعية، تلك المفاهيم المتمثلة في التنظيم الاجتماعي، والنظام، والجماعة، والمجتمع، والسلوك، والفعل، والاتجاهات، والعلاقات، والوعي [١٢]**، ماهي إلا تعبيرات عن تفرد الكائن البشري بالتفاعل الاجتماعي المنظم والمستمر. فالتفاعل الاجتماعي هو عملية التواصل، والاتصال المتداخلة، والمترابطة بين عدد من العناصر، وهي ذات أبعاد، ومعان مختلفة، فيكون لها بعدها الاجتماعي، عندما يتم فيها تبادل المعرفة، والأفكار في جو إيجابي يسوده الاحترام المشترك، والفهم الواضح بين أطرافها، ويظهر بعدها السيكولوجي في كونها عملية ذاتية داخلية تعتمد علي دوافع الفرد، وحاجاته وسمات شخصيته، وهي ذات بعد سلوكي كونها تقوم علي أساس نمط ثنائي الاتصال، كما يظهر بعدها التربوي في أنها تتم في موقف تعليمي داخل المنظومة التربوية.** [١٣]

---

(١١) مارفن هاريس: الأنثروبولوجيا الثقافية، ترجمة: السيد أحمد حامد، الجزء الأول، الكويت، ١٩٩٠م، ص ١٠٢.

(١٢) السيد علي شتا: التفاعل الاجتماعي والمنظور الظاهري،الإسكندرية، ط١، المكتبة المصرية، ٢٠٠٠م، ص١٩.

(١٣) زياد بركات : العلاقات الاجتماعية بين الدارسين والمدرسين في جامعة القدس المفتوحة وعلاقة ذلك ببعض المتغيرات، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، ٢٠٠٦م، ص ٩.

وذهب "هربرت بلومر" في تعريفه للتفاعل الاجتماعي إلى أن التفاعل الرمزي يشير إلى تلك الخاصية المتميزة للتفاعل - عندما يحدث بين الكائنات البشرية - والمتمثلة في التأويل المتبادل، والرمزي لأفعال الآخر.[١٤]، حيث ينظر الي المجتمع علي أنه يتركب من خطوط حية من الفعل تشكلت من خلال عملية التفاعل المتبادل، والأفراد هم الذين يشكلون المجتمع، من خلال التأكيد علي أهمية المعاني الرمزية للاتصال بما يشمله من لغة، وإيماءات، وإشارات، فالمجتمع يشكل الأفراد، ويكون سلوكهم. [١٥] ويعرفه "إيرفنج جوفمان" التأثير التبادلي للأفراد على أفعال بعضهم البعض، أثناء وجودهم المباشر معًا.[١٦]

ويُعرف أيضًا بأنه عبارة عن العلاقات الاجتماعية بجميع أنواعها، التي تكون قائمة بوظيفتها، أي العلاقات الاجتماعية الديناميكية وجميع أنواعها، سواء كانت هذه العلاقات بين فرد وفرد، أو جماعة وجماعة، أو بين جماعة وفرد [١٧].

وهي أفعال ناتجة عن تلك العلاقات الاجتماعية التي تحكمها مجموعة من الروابط، التي يخضع لها الأفراد منها ما هو مباشر، ومنها ما هو غير مباشر. [١٨]

وذهب "هربرت بلومر" في تعريفه للتفاعل الاجتماعي إلى أن التفاعل الرمزي يشير إلى تلك الخاصية المتميزة للتفاعل - عندما يحدث بين الكائنات البشرية - والمتمثلة في التأويل المتبادل، والرمزي لأفعال الآخر.[١٩] ومن خلال تحليل المفاهيم السابقة نجد أنها تحتوي على مجموعة من العوامل المشتركة منها:

١- يعد التفاعل الاجتماعي وسيلة الاتصال الأساسية بين الأفراد، وعن طريقه يتم التفاهم بين الأفراد في المجتمع الواحد، والمجتمعات الأخرى.

٢- يعد التفاعل الاجتماعي سلوكًا اجتماعيًا تتبادل من خلاله الأطراف المتفاعلة التأثير، والتأثر فيما بينها، وقد يكون بين فردين، أو جماعتين، قد يكون مباشرًا أي وجهًا لوجه، وقد يكون غير مباشر.

٣- يعتبر التفاعل الاجتماعي النواة الأساسية للعلاقات الاجتماعية.

---

(١٤) السيد علي شتا : التفاعل الاجتماعي والمنظور الظاهري، مرجع سابق، ص ٢٨.

(١٥) عبد الله أحمد القرني: التفاعل الاجتماعي في المجتمعات الافتراضية: دراسة مسحية علي أساتذة وطلاب التعليم عن بعد بجامعة الملك عبد العزيز، مجلة القراءة والمعرفة، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، العدد ١٧٩، سبتمبر ٢٠١٦، ص٨.

(١٦) جوردون مارشال : موسوعة علم الاجتماع ترجمة محمد الجوهري وآخرون، ط٢، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ٢٠٠٧م، ص٣٩١.

(١٧) عبدالله الرشدان : علم اجتماع التربية- عمان، ط١، دار الشروق، ١٩٩٩م، ص ١٧٠.

(١٨) خالد حامد: مدخل الي علم الاجتماع، الطبعة الاولي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٢، ص٢٠.

(١٩) السيد علي شتا : التفاعل الاجتماعي والمنظور الظاهري، مرجع سابق، ص ٢٨.

وعلي ضوء ذلك يمكن تحديد المفهوم الإجرائي للتفاعل الاجتماعي: بأنه عملية يرتبط بها أفراد المجتمع بعضهم ببعض ارتباطًا عقليًا، واجتماعيًا، وثقافيًا، ومعنويًا، بحيث يرضي كل منهم عن سلوك الآخر في إطار سلوكي عام مقبول من الجماعة.

سادسًا: التوجه النظري للدراسة:

تعتمد الدراسة في جمع البيانات، وتفسيرها علي كل من: نظرية التبادل الاجتماعي Social Exchange، والنظرية التفاعلية الرمزية Symbolic Interaction Theory.

ومن أبرز منطلقات نظرية التبادل الاجتماعي، نظرتها إلي الحياة الاجتماعية كإطار للتبادل، وإشباع الحاجات من خلال تبادل الممتلكات، وكل ما من شأنه أن يمثل قيمة تبادلية في تفاعلات الأفراد. فالحياة الاجتماعية من المنظور التبادلي، أن يقدم الفرد ما هو ذو قيمة، وضروري بالنسبة للآخرين، وأن يحصل علي ما هو ذو قيمة، وضروري في المقابل. وهكذا، حيث يمكن فهم الفعل الاجتماعي بالاستناد الي غائية موضوعات الإشباع، والتي تتمثل في مكافأة وخدمات مادية ومعنوية.

حيث يذكر" بيتر بلاو Pete M.Blau" أن الحديث عن الحياه الاجتماعية يعني الحديث عن الارتباطات بين الأشخاص، في الحب والحرب، والتجارة، والعبادة، والمساعدة والمنح، أي في العلاقات الاجتماعية التي يؤسسها الأفراد حيث يجدون اهتماماتهم قد لقيت طريقها، وأن رغباتهم أصبحت متحققة، ولذلك يؤكد علي: "حقيقة أن المنافع التي يمكن الحصول عليها - من خلال التبادل مع الآخرين- توجه الاهتمام إلي دراسة التبادل، وتوزيع المصادر" .(٢٠)

وتتخذ التفاعلية الرمزية من التفاعل- الذي ينشأ بين مختلف الأفراد- ومن المعاني مدخلًا لفهم المجتمع، ومن ثم يستند التفاعل الاجتماعي من منظور التفاعلية الرمزية لمقولة أساسية تتمثل في "أن الفرد عندما يأخذ ذاته في الاعتبار، عليه أن يأخذ ذات الآخرين في اعتباره ايضًا.(٢١)

سابعًا: الدراسات السابقة:

١- دراسة: تبادل الهدايا وتعزيز الرابطة الاجتماعية. (٢٢)

---

(٢٠) نايف النبوي، ومحمد الحوراني: إرهاصات نظرية التبادل في فكر أبي حيان التوحيدي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ٣٠، المجلد ب ، جامعة منتوري، الجزائر، ديسمبر ٢٠٠٨م، ص ٨.

(٢١) طه نجم: علم اجتماع المعرفة، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤، ص ١٩٣.

(٢٢) زهرة عباس، محمد حمداوي: تبادل الهدايا وتعزيز الرابطة الاجتماعية" الهدية في المناسبات الدينية "أنموذجاً"، جامعة مستغانم – الجزائر، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ٢٦، سبتمبر ٢٠١٧م.

هدفت الدراسة إلي محاولة فهم حقيقة العلاقة الكامنة بين التبادل الاجتماعي، والرابطة الاجتماعية، والكشف عن إطارها المرجعي الذي يوجه سلوكيات، وممارسات الأفراد نحوها، لمعرفة قواعد، وأسس استمرارها، التي لها علاقة بالتنظيم الاجتماعي، والثقافي، واعتمدت الدراسة علي المنهج الوصفي من خلال وصف التبادلات، والعادات، والطقوس الممارسة، والملاحظة بالمشاركة، والمقابلة المتعمقة. وتوصلت الدراسة إلي مجموعة من النتائج من أهمها: أن التبادل هو أساس الحياه الاجتماعية، وكل أنظمتها، فنتبادل الرموز، ونتبادل اللغة أثناء التواصل، ونتبادل الأشياء والخدمات. كما توصلت الدراسة إلي أن الهدية، وممارستها لا تخرج عن الإطار العام للهوية الثقافية للمجتمع، فممارستها، وتبادلها في مناسبات معينة يدخل ضمن عادات، وتقاليد أفراد الجماعة، ويمكن أن تأخذ أكثر من طابع بوصفها عادة ثقافية، وممارسة دينية، وواجب اجتماعي، ووسيلة تواصل، وبناء للعلاقات. وتبادل الهدايا بين الأفراد هو أساس التفاعل الاجتماعي، لحياة هؤلاء الأفراد، واستمرارها، هو شكل من أشكال التضامن الاجتماعي الذي يعزز الروابط الاجتماعية بين الأفراد سواء كانت علاقات قرابية، أو علاقات جيرة، أو صداقة.

٢ ـــــ دراسة رمزية الهدية في العلاقات الاجتماعية في الجزائر. (٢٣)

هدفت الدراسة إلي إبراز أهمية التفاعل الاجتماعي الرمزي في تحريك عجلة التغير الاجتماعي، من خلال إنتاج، وإعادة إنتاج علاقات اجتماعية تختلف باختلاف الزمان والمجال التفاعلي، واعتمدت الدراسة علي المنهج الوصفي، ومنهج المسح الاجتماعي بالعينة، كما اعتمدت علي الملاحظة، ودليل المقابلة. وتوصلت إلي: أن المجال الاجتماعي يتحدد من خلال النموذج الثقافي السائد، والذي يعتبر متنوعًا اجتماعيًا راسخًا في البنية الذهنية للمتفاعلين في إطارة. كما أن النموذج الثقافي هو الذي يحدد الهوية الاجتماعية للهدية، أو الهبة التي تعمل علي إنتاج، وإعادة إنتاج علاقات اجتماعية تواصلية، أو استراتيجية داخل الحيز الاجتماعي.

٣ دراسة :الثقة وتأثيرها على عمليات التبادل الاجتماعي.(٢٤)

لقد أُجريت هذه الدراسة للتعرف على مدى تأثير الثقة لدى الأفراد في العلاقات الاجتماعية بين الرؤساء، والمرؤوسين، وافترضت أن هناك علاقة بين الثقة في

---

(٢٣) عويسي خيرة : رمزية الهدية في العلاقات الاجتماعية في الجزائر: دراسة ميدانية للمجال العمراني بولاية الأغواط، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ٢٠١٢.

(24) Jermey G. Berneth and H. Jack Walker: Propensity to Trust and the Impact on Social Exchange "An Empirical Investigation" Journal of Leadership and Organization Studies, Vol. 15, No. 3, February 2009.

الأفراد، وعمليات التبادل الاجتماعي، وأجريت الدراسة على عينة من المديرين، والعمال في بعض الإدارات، بلغ عدد المديرين ٢٧٩ مديرًا، والعمال ٣٥ عاملاً، واعتمدت على منهج المسح الاجتماعي بالعينة، وعلى أداة الاستبيان البريدي. وانتهت إلى أن هناك علاقة وثيقة بين الثقة لدى العاملين، وعمليات التبادل الاجتماعي. وتعتبر الثقة حجر الأساس في علاقات التبادل الاجتماعي، والالتزام بالثقة يعد عنصرًا هامًا في تطوير علاقات التبادل الاجتماعي؛ نظرًا لحاجة الأفراد إلي الثقة، والرغبة في رد الجميل لدي الطرف الآخر. كما أن أفضل أنواع العلاقات الاجتماعية في إطار التبادلات الاجتماعية الإيجابية لوحظ وجودها عندما وصل كل من الرؤساء، والعاملين إلى درجة عالية من الثقة.

٤- دراسة " العلاقة بين الشعور بالوحدة والتفاعل الاجتماعي اليومي"(٢٥)

بحثت الدراسة في دور العزلة الاجتماعية، أي حجم الشبكة الاجتماعية الصغيرة في تعديل العلاقة بين الوحدة، وخصائص التفاعلات الاجتماعية اليومية، ونوع التفاعل الاجتماعي، والخصائص النوعية.

تكونت عينة الدراسة من"١١٨" فردًا تتراوح أعمارهم ما بين ١٩ إلي ٦٤سنة من العمر، وجميعهم كوريون، وطلب من المشاركين تصنيف جميع العلاقات الاجتماعية - التي تفاعلوا معها - كعلاقات قوية، أو ضعيفة باستخدام السجلات اليومية للتفاعلات الاجتماعية، واستخدام منهج متعدد الانحدار لاختبار تأثيرات التفاعل بين الوحدة، وحجم الشبكة الاجتماعية علي عدة مقاييس لخصائص التفاعلات الاجتماعية اليومية. وتوصلت الدراسة إلي أن بعض الناس قد يعانون من الشعور بالوحدة، بينما يحيط بهم عدد كبير من الروابط الاجتماعية. وقد لا يكون مجرد عدد كبير من الروابط حاجزًا كافيًا ضد الوحدة، وقد يشعر الأشخاص ـــ الذين لديهم شبكة اجتماعية واسعة النطاق ـــ بالوحدة عندما تكون علاقاتهم اليومية مرجحة نحو علاقات سطحية، ومؤقتة مع افتقارهم إلي علاقات وثيقة. يتفاعل الأفراد في حياتهم اليومية مع العلاقات الاجتماعية، ويؤلفون شبكات اجتماعية شخصية. يمكن للناس استخدام مواردهم الاجتماعية المحدودة للحفاظ علي عدد قليل من الروابط القوية، أو تكوين روابط ضعيفة متعددة.

٥- دراسة: نظرية التفاعلية الرمزية. (٢٦)

(25) Yeeun Lee and Young-Gun Ko: "Feeling lonely when not Socially Isolated: Social Isolation Moderates the Association Between loneliness and Daily Social Interaction ", Journal of Social and Personal Relationships, vol.35, No. 10, 2018.

(26) Michael J. Carter and Fuller: "Symbolic interactionism", California State University Nor Thridge. USA, Socio pedia. Iso, 2015.

حيث هدفت الدراسة لتقييم الدراسات التي تبنت منظور التفاعلية الرمزية، في مجالاتها المختلفة، وبحث أسس الدراسات التجريبية، والاستقرائية التي ظهرت على مدى العقود الماضية. وتوصلت الدراسة إلي أنه على الرغم من التفكك، والتجدد على مر الأعوام، إلا أن النسق التفاعلي الرمزي لا يزال منظورًا، تاريخيًا فضلا عن أنه سمة معاصرة من سمات علم الاجتماع. وعلى الرغم من تنوع النظريات، والمدارس المنهجية - منذ أعمال "ميد" -إلا أنه يمكن توظيف التفاعل الرمزي، والاستفادة منه في ثنايا هذه المنظومة، كما أن التوجهات المستقبلية لهذه النظرية في تطور مستمر.

ثامناً: الاجراءات المنهجية للدراسة:

منهج الدراسة:

يرتبط اختيار المنهج المتبع في الدراسة بإشكالية الدراسة التي تسعى لجمع معلومات حول التفاعلات التي تتم في إطار العلاقات الاجتماعية، وما يكمن بداخلها من تبادلات اجتماعية مختلفة تتم في سياق الحياة اليومية، وبناء على ذلك، فإن الدراسة تندرج ضمن البحوث الوصفية التي تهتم بشرح، وتوضيح الأحداث، والمواقف المختلفة المعبرة عن ظاهرة معينة أو عدد من الظواهر، ومحاولة تحليل الواقع الذي تدور عليه تلك الأحداث، والوقائع بهدف المساهمة في إزالة المعوقات، أو الغموض الذي يكتنف بعض الظواهر من أجل تطوير الواقع، واستخدام أفكار، ونماذج سلوك جديدة.

وقد اعتمدت الدراسة الراهنة على :

١- المنهج الوصفي التحليلي Descriptive method

٢- والمنهج الأنثروبولوجي Anthropological method

٣- والاسلوب المقارن Comparative method

أدوات جمع البيانات:

هي الوسائل المستخدمة في جمع، أو تصنيف، أو جدولة البيانات، وهي تنقسم إلى أدوات رئيسية، وأخرى فرعية لكل منها خصائص، وإيجابيات، وسلبيات، وظروف معينة للاستخدام. وقد اعتمدت الدراسة الراهنة على دليل المقابلة المتعمقة لتوجيه الباحثة لجمع البيانات من خلال المناهج المشار إليها، بالإضافة إلى أداة الملاحظة بالمشاركة.

عينة الدراسة:

تمثل الأسرة وحدة الدراسة الراهنة، حيث تم حصر عدد السكان داخل مجتمعي الدراسة من خلال تعداد السكان، اختيرت عينة عشوائية لهذه الأسر، وطبق دليل المقابلة المتعمقة في الأسرة على رب الأسرة، أو ربة الأسرة، وبلغ عدد المبحوثين (٥٠) مبحوثًا بعدد متساوٍ بين الريف، والحضر أي(٢٥) مبحوثًا في الريف و(٢٥) مبحوثًا في الحضر. وقد مثلت ريف الدراسة قرية العنبرية

وهي إحدى القري التابعة لمركز ومدينة المنشاة. أما بالنسبة للحضر فقد مثلت مدينة المنشاة بمحافظة سوهاج حضر الدراسة.

تاسعًا: عرض وتحليل الدراسة الميدانية:

١- خصائص عينة الدراسة:

جدول رقم (١)
توزيع عينة الدراسة طبقا للنوع

النوع	الريف		الحضر		الإجمالي	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%
ذكور	١٤	%٥٦	٧	%٢٨	٢١	%٤٢
إناث	١١	%٤٤	١٨	%٧٢	٢٩	%٥٨
الإجمالي	٢٥	%١٠٠	٢٥	%١٠٠	٥٠	%١٠٠

توضح البيانات الميدانية في الجدول رقم(١) أن نسبة الذكور ٤٢% من إجمالي حجم العينة، وبلغت نسبة الإناث ٥٨% والتنوع في العينة بين الإناث والذكور؛ لمعرفة مدي تمسك الأفراد بالعلاقات، والروابط الاجتماعية، وما يكمن بداخلها من أشكال مختلفة للتبادلات الاجتماعية التي تتم عبر تفاعلات الحياة اليومية، والمقارنة بين الريف، والحضر. ويوثر نوع المبحوث في طبيعة الإجابات التي يُدلي بها في الدراسة، فمن المتفق عليه أن التكوين البيولوجي للذكر يختلف عن تكوين الأنثي، وذلك بحد ذاته كفيل بإحداث تغيرات كبيرة في حياة كل منهما، ومن ثم ينعكس ذلك علي نوعية الآراء، والأفكار، والتوجهات بالنسبة لكلٍّ منهما، فإجابات كلا الجنسين يمكن أن تعطينا صورة واضحة عن اختلاف آرائهم إزاء موضوع الدراسة [٢٧].

جدول رقم (٢)
توزيع عينة الدراسة طبقا للسن

فئات السن	الريف		الحضر		الإجمالي	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%
٣٥:٢٥	١٠	%٤٠	١٠	%٤٠	٢٠	%٤٠
٤٥:٣٥	٢	%٨	٣	%١٢	٥	%١٠
٥٥:٤٥	٨	%٣٢	٨	%٣٢	١٦	%٣٢
٥٥ فأكثر	٥	%٢٠	٤	%١٦	٩	%١٨
الإجمالي	٢٥	%١٠٠	٢٥	%١٠٠	٥٠	%١٠٠

(٢٧) مازن مرسول الربيعي: الأبعاد الاجتماعية والثقافية للمعلوماتيه" دراسة ميدانية في مدينة بغداد"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، قسم الاجتماع، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص١٧٠.

توضح البيانات الميدانية في الجدول السابق أن معظم مفردات العينة تنحصر في الفئة العمرية الواقعة بين(٢٥:٧٠)، حيث تمثلت حالات الدراسة في رب الاسرة، أو ربة الاسرة، وفي هذا الاطار قد تم تقسيم عينة الدراسة إلي مجموعة من الفئات العمرية، الفئة الأولي(٢٥:٣٥) بنسبة ٤٠% من إجمالي حجم العينة، والفئة الثانية (٣٥:٤٥) وبلغة نسبتهم ١٠% من إجمالي حجم العينة، والفئة الثالثة(٤٥:٥٥) وبلغت نسبتهم ٣٢%، والفئة الرابعة (٥٥ فأكثر) وبلغت نسبتهم ١٨% من إجمالي حجم العينة، والغرض من التنوع في الفئات العمرية؛ فهم ودراسة طبيعة التبادلات الاجتماعية بأبعادها، وخلفياتها وأثارها علي بنية العلاقات الاجتماعية، وايهما أكثر تمسكاً بتلك العلاقات، هل هم صغار السن، أم كبار السن، أم أن قوة العلاقات الاجتماعية لا تختلف عند كبار السن عنها ممن هم في سن الشباب، ومقارنة ذلك بين الريف، والحضر.

جدول رقم (٣)

توزيع عينة الدراسة طبقا للحالة المهنية

	الريف		الحضر		الإجمالي	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%
موظف	٦	%٢٤	٨	%٣٢	١٤	%٢٨
أعمال حرة	٣	%١٢	٣	%١٢	٦	%١٢
تاجر	٤	%١٦	١	%٤	٥	%١٠
مزارع	٢	%٨	١	%٤	٣	%٦
لا يعمل	١٠	%٤٠	١٢	%٤٨	٢٢	%٤٤
الإجمالي	٢٥	%١٠٠	٢٥	%١٠٠	٥٠	%١٠٠

من خلال الجدول السابق يتضح أن نسبة ٢٨% من إجمالي حالات الدراسة يعملون في وظائف حكومية، ونسبة ١٢% يفضلون الاعمال الحرة، ومنهم من يعمل في الزراعة، وبلغت نسبتهم ٦% ومنهم من يعمل بالتجارة في الأراضي بنسبة ١٠% ومنهم من لا يعملون، وبلغت نسبتهم ٤٤% من إجمالي حجم العينة، وهم من النساء سواء في الريف، أو الحضر لعدم تفضيل عمل المرأة في صعيد مصر عمومًا، وليس في الريف، أو الحضر فقط، ويأتي ذلك متفقًا مع دراسة " كرداشه منير، شتوي موسي" حيث ترتفع نسبة السيدات اللاتي لا يعملن مما يشير إلي عدم اهتمام المرأة في الصعيد للخروج لسوق العمل، بالإضافة إلي القيود التي تمارسها الأسرة علي المرأة التي ترغب في العمل، ثم يلي الأسرة الزوج، ومسئوليات الزواج، بسبب سيادة مفهوم "السترة" القائم علي اختزال شرف الأسرة بسلوك الأنثى، وتحسبًا للمس بهذا المعيار، فإنه كثيرًا ما كان استلابها من حقها من الخروج من المنزل، وإقصائها من سوق العمل، وقد تكون هذه العوامل ذاتها هي التي حالت دون قبول الرجل خروج

المرأة لسوق العمل، وبالتالي تعميق حالة تبعيتها الإقتصادية، وإعاقة إمتلاكها لخيارات إقتصادية، واجتماعية، وثقافية مختلفة.(٢٨)

جدول رقم (٤)

توزيع عينة الدراسة طبقا للمستوي التعليمي

المستوي التعليمي	الريف		الحضر		الإجمالي	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%
أمي	٧	%٢٨	٣	%١٢	١٠	%٢٠
يقرأ ويكتب	٣	%١٢	٦	%٢٤	٩	%١٨
شهادة متوسطة	٩	%٣٦	١١	%٤٤	٢٠	%٤٠
شهادة فوق متوسطة	٣	%١٢	١	%٤	٤	%٨
شهادة جامعية	٣	%١٢	٣	%١٢	٥	%٢٠
شهادة فوق جامعية	٠	%٠	١	%٨	٢	%٨
الإجمالي	٢٥	%١٠٠	٢٥	%١٠٠	٥٠	%١٠٠

يعد التعليم بمستوياته، ونوعياته المختلفة له أثر كبير في الحياة الفكرية، والثقافية، والمهنية والتي غيرت من مفاهيم الأفراد، واتجاهاتهم، وعلاقاتهم بأبنائهم، وجعلت هناك فجوة ثقافية بين الأجيال(٢٩). ويؤثر المستوي التعليمي تأثيرًا جوهريًا في بناء شخصية الإنسان، ويعبر عن كثير من أساليبه في الحياة، والمعتقدات فالشخص المتعلم يختلف في أساليب تعامله عن الشخص الأمي، ونستطيع ملاحظة ذلك من خلال مقارنة سلوك كل منهما تجاه المواقف المختلفة وأساليب تعاملها، ومن حيث بناء الشخصية ويمكن إرجاع هذا الفرق إلى عامل التعليم، وبذلك يعتبر التعليم متغيرًا مهمًا جدًا يؤثر على أساليب التعامل مع الآخرين(٣٠).

٢- طبيعة التبادلات الاجتماعية، وأشكالها التي تتم في تفاعلات الحياة اليومية:

أكدت شواهد الدراسة الميدانية على أن للتبادلات الاجتماعية دورًا واضحًا في الحياة اليومية، وتظهر معالم هذا الدور من خلال العمليات التبادلية التي تتم بين الأفراد، ويوجد داخل مجتمع الدراسة أنماط متعددة من أشكال التبادل الاجتماعي:

(٢٨) كرداشة منير، شتوي موسي: التباينات الحضرية والريفية وآثارها في المجتمع الأردني" دراسة تحليلية"، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد (٦)، العدد (٣)، ٢٠١٣، ص٢٥٣.

(٢٩) عبد السلام ابراهيم محمد: مشكلات الأسرة المصرية في مجتمع الصعيد في ظل تداعيات العولمة، مجلة كلية التربية بالفيوم، العدد(٣)، ٢٠٠٥، ص٢٥٧.

(٣٠) فايزة يوسف عبد المجيد: السياق النفسي الاجتماعي لتنشئة الأبناء في الأسرة، مؤتمر واقع الأسرة في المجتمع: تشخيص للمشكلات واستكشاف لسياسات المواجهة، جامعة عين شمس، من ٢٦-٢٨ سبتمبر ٢٠٠٤، ص٢٦٢.

النمط الأول: التبادل المادي :
ويشتمل التبادل المادي في مجتمع الدراسة على عدة صور منها:
١ــ تقديم مبالغ مالية:
في بعض تفاعلات الحياة اليومية تقدم مبالغ مالية من أحد الأطراف للطرف الآخر، والتي تصبح بمثابة دين علي الطرف الثاني، يجب عليه ردها للطرف الأول في حال تكرار المناسبة عنده، وغالبًا يكون هذا الشكل في الأفراح على شكل ما يسمى " بالنقطة " ويكون في زيارة المرضى على سبيل المساعدة في مصاريف العلاج، ويكون في حالة المشاجرات الكبيرة في صورة دعم مادي لشراء السلاح خاصة في الريف، ويكون في حالة الوفاة على سبيل المساعدة في مصاريف الجنازة، أو شراء الكفن في الحضر، وذلك علي النحو التالي:
أ ــ في الأفراح : تتعدد صور التبادل المادي في الأفراح، حيث تطغي سمة التحضر علي الأشياء المادية المتبادلة؛ والتي قد تكون عبارة عن علبة شكولاتة، أو بعض العصائر، أو غيرها من السلع المباعة، بخلاف المجتمع الريفي. أما بالنسبة للحضر فأهم صور التبادل هي تقديم مبالغ مادية أو ما يعرف "بالنقطة".
ب ــ زيارة المريض: يعتمد معظم سكان الريف علي الزراعة، وتربية المواشي، وبعض الصناعات البسيطة، ففي الغالب تكون الهدايا المتبادلة المحاصيل الزراعية نفسها، كالخضار والفاكهة، وأشياء بسيطة كالسكر والشاي، وإن كان طبيعة أهل الريف يفضلون تقديم مبالغ مالية مع الهدايا، أو الاكتفاء بتقديم المبالغ المالية فقط في حالة زيارة المريض؛ ظنًا منهم لاحتياج الطرف الأخر للمساعدة المادية أهم من الهدايا. أما في الحضر يفضل البعض عند زيارة المريض تقديم شيء مادي ملموس.
ج ــ المشاجرات : أوضحت شواهد الدراسة الميدانية مدي الولاء والانتماء للعائلة في المجتمع الريفي؛ فأثناء المشاجرات تؤدي العصبية دورًا مهمًا، وتكون عملية التبادل بين أفراد العائلة ككل، والمساعدة في شراء الأسلحة، والمشاركة في المشاجرة. أما في الحضر تنتهي المشاجرات بسرعة وتكون بسيطة، وإن زادت قد تصل إلي الشرطة، ويكون قانون الدولة هو القائم بفض النزاع، وتقتصر المشاجرة على طرفي المشكلة فقط دون تدخل خارجي من الأقارب، أو العائلة، وإن وجد التدخل يكون محدود في نطاق الأسرة فقط . أما في الريف تستمر المشاجرات لفترات طويلة وقد تصل إلي الثأر، وتكون المجالس العرفية من كبار السن في العائلات هي الخاصة بفض النزاع بينهم.
د ــ الوفاه: في حالة الوفاة يكون التبادل بالطعام في أيام العزاء - والتي تكون ثلاثة أيام لكل من الرجل والمرأة - ويقدم الطعام للرجال في المندرة، أو الدوار، وللسيدات في المنزل بالنسبة للريف، أما الحضر فالأمر قد يختلف نسبيًا فيكون العزاء ثلاثة أيام، أو يومًا واحدًا علي المقابر، وفي الريف يكون التبادل المادي

بالطعام فقط، ولا يتقبل أهل المتوفي النقود بأي شكل من الأشكال، حيث تعتبر إهانة أو تقليلًا من المكانة الاجتماعية، وعلي العكس من ذلك في الحضر فقد يتقبل أهل المتوفي النقود، وترد كمجامله، بجانب التبادل بالطعام في أيام العزاء.

٢ـــ الهدية:

لابد أن ترد بنفس الشكل أو أكثر في القيمة المادية، ويمكننا ملاحظة هذا النوع من التبادل المادي في كافة مجالات الحياة اليومية، حيث نجده في مناسبة مولود جديد بالأسرة، أو الختان، أو الزواج، أو الوفاة، أو النجاح في الدراسة، وفي جني المحاصيل الزراعية في الريف، وما شابه ذلك.

النمط الثاني : التبادل المعنوي :

ويتمثل التبادل المعنوي في المشاركة الوجدانية، والمعنوية في كافة المناسبات الاجتماعية في الحياة اليومية، وهو يرد أيضًا بالطريقة ذاتها في المناسبات المماثلة، ولا يقتصر التبادل المعنوي على الأفراح، والأحزان فقط بل ويصل الأمر إلى تبادل المشاركة في المشاجرات التي تقوم بين العائلات بعضها البعض، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي :

١ـــ التبادل المعنوي في الأفراح : توضح نتائج الدراسة الميدانية الاختلاف فى عملية التبادل بين الريف، والحضر، فنجد في الريف الوقوف بجانب أصحاب العُرس قبل ميعاد الفرح بأيام، ويشاركون في إعداد الطعام، وتجهيزات العُرس كاملة، ولا تقتصر المشاركة على المشاركة المادية فقط، ولكن المعنوية للوقوف بجانبهم قبل الفرح بمدة تصل إلى أسبوع، وأسبوعين لإعداد تجهيزات العُرس، وإن كان البعض يتخذ تلك المناسبة لفض بعض الخلافات القائمة ـــ إن وجدت ـــ بين أصحاب الفرح، وبين العائلات الأخرى، ولا يقتصر الحضور على عدد معين من الأفراد إنما يصل الحضور إلى أغلبية العائلة، أما بالنسبة للمدينة فتقتصر عملية التبادل فى الأفراح علي المشاركة يوم العُرس، أو الفرح فقط ، وتكون المشاركة غالبية الأمر بالحضور فرد، أو فردين من الأسرة للفرح، ويقومون بتقديم " المجاملة " أو " النقطة" ويرتبط حجم تلك النقطة إن كانت كبيرة، أو صغيرة - وغالبية الأمر مبلغ مالي- بمدى صلة الود، والقرابة بين طرفي التبادل.

٢ـــ التبادل المعنوي في حالة الوفاة : يشارك أهل القرية الأحزان مع أهل المتوفي ويقفون بجانبه معنويًا، ويتركون الخلافات إن كانت قائمة بينهم في ذلك الوقت، ولا تقتصر مشاركتهم على الحضور فقط، وإنما تمتد إلى تجهيزات العزاء، وما يتطلبه من تحضيرات، وتمتد أعمال المواساة لأهل المتوفي تصل لأسابيع، ويعم الحزن على أهل القرية كلها، وتختفي أى مظاهر للفرح بالقرية تقديرًا، واحترامًا، ومواساة لأهل المتوفي تصل لدرجة إلغاء أى مراسم للعُرس ستقام في تلك الفترة، وخلال تلك الفترة بعد إتمام مراسم الدفن، وأخذ العزاء يذهب أهل المتوفي لأهل الفرح، ويصرون على إقامة الفرح في ميعاده، حتي

يقتنع أهل الفرح بإقامة مراسيم العُرس، وإن لغي منها كل مظاهر الفرح كالزغاريط، والأغاني وغير ذلك، وتقتصر على إحضار العروسة لمنزل العريس فقط . أما بالنسبة لأهل الحضر تقتصر مشاركتهم في حالة الوفاه على الحضور فقط أيام العزاء، والمشاركة الوجدانية بالحزن، والأسي، ولمدة فترة العزاء فقط، وبعد العزاء يتجه كل شخص للانتباه لأعماله، وممارسة حياته الطبيعية.

٣ـــ التبادل المعنوي في الشجار:

يختلف الأمر في ذلك بين سكان الحضر عن سكان الريف، فنجد سكان الريف أكثر تبادلًا في الدفاع المشترك عن أبناء العمومة، ونجد داخل قرية الدراسة كثيرًا من الأفراد يتصرفون كما لو كانوا هم أصحاب المشكلة بغض النظر عن تلك الخلافات القديمة؛ حيث تؤدي العصبية دورًا مهمًا في العلاقات القرابية، وخاصة في حالة وقوع نزاع بين أحد الأقارب العاصبة (أخ- أخت- ابن عم – ابنة عم) فيتغاضى الكثيرون عن الخلافات القديمة ليس بدافع المحبة، ولكن بدافع العصبية. بينما يختلف الأمر قليلا بين سكان الحضر، وعادة فان التبادل في المشاجرات يكون بين الرجال، وليس بين النساء وخاصة في الحضر، أما في الريف فقد تكون المرأة طرفًا من أطراف المشكلة، أو هي سبب المشكلة، وبالتالي فهي مشاركة في المشاجرة.

٣- محددات التبادلات الاجتماعية التي تتم في سياق التفاعلات الاجتماعية اليومية.

كشفت الدراسة الميدانية أن هناك مجموعة من المحددات المرتبطة بالتبادلات الاجتماعية في سياق التفاعلات الاجتماعية اليومية، ومن أهم هذه المحددات ما يلي :

١ـــ العلاقة الاجتماعية: وتتنوع العلاقة الاجتماعية في سياق التفاعلات الاجتماعية اليومية إلي علاقة القرابة العاصبة ـــ ومعظم هذه العلاقات يتميز بالطابع العاطفي إما مساندة، أو مواساة ـــــ وعلاقة القرابة بالمصاهرة، والتي تقوم بتوسيع دائرة العلاقات الاجتماعية وتقويتها؛ حيث يقوم هذا النوع من القرابة بتكوين الجماعات الاجتماعية عن طريق الزواج، والتي بدورها توسع دائرة التعاون، والتبادل، والتضامن الاجتماعي، ثم علاقات الجوار، والصداقة، وزملاء العمل. ويبدو ذلك بوضوح في القرية بخلاف المدينة؛ حيث لم تقتصر العلاقات فى القرية على علاقة القرابة العاصبة فقط، ولكن تمتد إلى خارج ذلك تصل إلى نطاق العائلة كلها، وترتبطهم مع بعضهم البعض علاقة العزوة، لأن العزوة ترتبط بمبدأ القوة، وفرض السيطرة، والهيمنة، واستطاعة الوقوف ضد العائلات الأخرى حتى لا تُفقد الهيبة بالقرية، وهذا بخلاف المدينة حيث ترتبط العلاقات الاجتماعية بعلاقة صلة الدم، والقرابة من الدرجة الأولي، والثانية فقط، أو المعارف والأصدقاء، ونادرًا ما تخرج خلاف ذلك، فمبدأ العزوة غير موجود تمامًا.

٢ــ المنفعة : كشفت نتائج الدراسة الميدانية أن المنفعة في عملية التفاعل الاجتماعي تأتي من تبادل المصالح، وتعتبر المصلحة من أهم المقومات التي تقوم عليها عملية التبادل الاجتماعي في بعض مواقف الحياة اليومية. ولا يعني ذلك أن الأفراد في الريف يبحثون عن المنفعة المادية فقط، فبجانب المنفعة المادية التي يحصل عليها المشاركون في عملية التبادل الاجتماعي، نجد أنهم يبحثون أيضًا عن المنفعة المعنوية التي تشعرهم بقيمتهم، ومكانتهم الاجتماعية بين الناس، وتكسبهم احترام، وتقدير أفراد المجتمع، ولا يختلف الأمر في الحضر كثيرًا عن الريف، فهناك المنفعة المادية، والمنفعة المعنوية التي تحدد التبادل الاجتماعي بين الأطراف المختلفة، أما عن المنفعة المادية فتتمثل في الحصول على المال عن طريق المجاملة، ورد هذا المال في مناسبة مماثلة، أو تسهيل مصلحة ما.

٣ــ التدين : أوضحت نتائج الدراسة الميدانية أن عملية التبادل الاجتماعي هي نوع من أنواع صلة الأرحام الذي أوصى بها رب العزة عز وجل، والنبي محمد صل الله وعليه وسلم، وأنها واجب ديني يجب تأديته بالنسبة للأقارب، أما بالنسبة للتبادل الاجتماعي بين الجيران- الذين لا تربطهم صلة قرابة - فهي أيضا من السلوك الديني، لأن الإسلام يحث على المعاملة الحسنة للجار سواء كان قريبًا أو بعيدًا، مسلمًا، أو غير مسلم.

٤ــ السن : يعد السن من محددات عملية التبادل الاجتماعي في مجتمعي الدراسة، وهناك العديد من عمليات التبادل الاجتماعي التي تتم داخل الأسرة في مجتمعي الدراسة، فالشباب له تبادلات اجتماعية مع الشباب، وكبار السن لهم تبادلات اجتماعية مع أفراد في نفس أعمارهم ، والمبرر في ذلك هو الفهم المتبادل، والقدرة على التواصل مع الأخر.

٥ــ النوع: يلعب النوع دورًا مهمًا كمحدد من محددات عملية التبادل الاجتماعي في مجتمعي الدراسة؛ حيث إن مجتمع الصعيد إلى حد بعيد من المجتمعات المحافظة التي ما زالت تحدد أدوار المرأة، والرجل، وترفض فكرة الصداقة، أو التبادل بأي صورة من الصور بين رجل، وامرأة. وبالتالي يفضل مجتمع الدراسة أن يتم التبادل بين طرفين من النوع ذاته، إلا إن هناك تبادلات مفروضة بحكم العمل، ولكن مقيدة أيضًا. ويرى البعض أن النوع - كمحدد من محددات التبادل الاجتماعي - يتوقف على درجة القرابة، فكلما كانت درجة القرابة قوية، كلما تراجع النوع كمحدد من محددات التبادل الاجتماعي.

٦ــ العادات والتقاليد : تراجعت العادات، والتقاليد كمحدد من محددات التبادل الاجتماعي في الحضر، على الرغم من سيطرة العادات، والتقاليد على كثير من سلوكيات الأفراد في مجتمع الدراسة، الا أن دورها في عملية التبادل الاجتماعي، لم يكن ذا تأثير فعال، بينما ما زالت العادات، والتقاليد تمارس دورًا مهمًا في عملية التبادل الاجتماعي في المجتمع الريفي، وتحدد للفرد ما يجب

عليه أن يفعله، وما يجب ألا يفعله في مختلف المناسبات الاجتماعية، بل إنها تجعل بعض الممارسات في الحياة اليومية ملزمة، وواجبة التنفيذ مثل الوقوف بجوار الأقارب في حالات الزواج، والوفاة، والمشاجرات العائلية.

٧ــ التعليم : لا يعد التعليم من محددات عمليات التبادل الاجتماعي القوية في مجتمعي الدراسة، حيث لا يلعب التعليم دورًا مهمًا في عملية التبادل الاجتماعي، فالشخص مجبر أحيانًا على التبادل مع أهله، وجيرانه وأصحابه بغض النظر عن نوع التعليم، أو درجته.

٨ــ المستوى الاقتصادي والاجتماعي : يجب أن يتم التبادل الاجتماعي في مستويات اقتصادية، واجتماعية متقاربة؛ لكي تنجح عمليات التبادلات الاجتماعية، وقد تفشل عمليات التبادل الاجتماعي، إذا اختلفت المستويات الاجتماعية والاقتصادية؛ لأن الطرف الأقل لا يستطيع الوفاء بالتزامات هذا التبادل، وبالتالي يشعر بالإهانة أمام الطرف الثاني، لأنه لا يستطيع الرد بنفس القيمة التي جاء بها الطرف الأغنى، وفي الريف أيضًا يفضل التبادل الاجتماعي بين أفراد أو أسر متقاربة إلى حد ما في المستوى الاجتماعي، والاقتصادي، وفي المكانة، والمركز الاجتماعي.

٩ــ موافقة الزوج أو أم الزوج : من المحددات القوية لعملية التبادل الاجتماعي - بالنسبة للمرأة - هي موافقة الزوج على عملية التبادل الاجتماعي، وفي حالة الأسرة الممتدة، أو غياب الزوج موافقة أم الزوج، وفي حال اتمام عملية التبادل الاجتماعي بدون هذه الموافقة يترتب على ذلك العديد من المشكلات بين الزوجين، ومن الممكن أن يفرض الزوج على زوجته نوعًا معينًا من أنواع التبادل الاجتماعي سواء قبلت بذلك، أم لا تقبل.

١٠ــ رد عملية التبادل: من المحددات التي تساعد على استمرار عملية التبادل بين الأطراف المختلفة، هي رد عملية التبادل من الطرف الآخر في مناسبات مشابهة بما يساويها، أو ما يزيد عنها، فان لم يحدث ذلك تتوقف عملية التبادل الاجتماعي، وربما تنتهي تمامًا.

١١ــ السيرة الطيبة للشخص : تؤكد نتائج الدراسة الميدانية أن السيرة الطيبة، وحسن التعامل مع الناس من محددات التبادل الاجتماعي، بغض النظر عن درجة القرابة التي تربطهم بهذا الشخص.

المراجع والهوامش

المراجع العربية:

١. إجلال إسماعيل حلمي: علم اجتماع الزواج والأسرة "رؤية نقدية للواقع والمستقبل" مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٣م.
٢. السيد علي شتا: التفاعل الاجتماعي والمنظور الظاهري، الإسكندرية، ط١، المكتبة المصرية، ٢٠٠٠م.
٣. زياد بركات : العلاقات الاجتماعية بين الدارسين والمدرسين في جامعة القدس المفتوحة وعلاقة ذلك ببعض المتغيرات، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، ٢٠٠٦م.
٤. زهرة عباس، محمد حمداوي: تبادل الهدايا وتعزيز الرابطة الاجتماعية" الهدية في المناسبات الدينية "أنموذجاً"، جامعة مستغانم – الجزائر، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ٢٦، سبتمبر ٢٠١٧م.
٥. طبيش ميلود: الاتصال التنظيمي وعلاقته بالتفاعل الاجتماعي للعاملين بالمؤسسة "دراسة ميدانية بإذاعة سطيف الجهوية" رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم علم الاجتماع، ٢٠١١.
٦. عبد السلام ابراهيم محمد: مشكلات الأسرة المصرية في مجتمع الصعيد في ظل تداعيات العولمة، مجلة كلية التربية بالفيوم، العدد(٣)، ٢٠٠٥.
٧. عديلة آمال: الفعل التطوعي في ظل التغير الاجتماعي في الجزائر "دراسة ميدانية لبعض مناطق مدينة الأغواط "رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية ٢٠١١م.
٨. فايزة يوسف عبد المجيد: السياق النفسي الاجتماعي لتنشئة الأبناء في الأسرة، مؤتمر واقع الأسرة في المجتمع: تشخيص للمشكلات واستكشاف لسياسات المواجهة، جامعة عين شمس، من ٢٦-٢٨ سبتمبر ٢٠٠٤.
٩. كرداشة منير، شتوي موسي: التباينات الحضرية والريفية وآثارها في المجتمع الأردني" دراسة تحليلية"، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد (٦)، العدد (٣)، ٢٠١٣.
١٠. مارفن هاريس: الأنثروبولوجيا الثقافية، ترجمة: السيد أحمد حامد، الجزء الأول، الكويت، ١٩٩٠م.
١١. مازن مرسول الربيعي: الأبعاد الاجتماعية والثقافية للمعلوماتيه" دراسة ميدانية في مدينة بغداد"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، قسم الاجتماع، جامعة بغداد، ٢٠٠٤.

١٢. هذال بن هلال العتيبي: أثر استخدام شبكة الإنترنت على العلاقات الاجتماعية "دراسة ميدانية مطبقة على عينة من مستخدمي الإنترنت في مدينة الرياض" رسالة دكتوراه (غير منشورة)، تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٣م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1-David Gefen and Catherine Ridings: Aquasi -Experimental Design Study of Social Exchange Theory, Journal of Management Information Systems, vol.19, No.1, Summer 2002

2- Pamela Brandes and Others: Social Exchanges Within Organization and Work Outcomes, Group and Organization, Management Vol.29,No.3,June 2004.

3- Karen S. Cook And Eric Rice: Social Exchange Theory ,Department OF Sociology, Stanford University, California, Kluwer Academic/Plenum Publishers, New York, 2003,

4-John b. Knox, The Concept of Exchange in Sociological Theory "1884 and 1961" Oxford university, Vol. 41, May 1963.

5- Milanze Firouski: Social Exchange Theory under scrutiny, positive critique of its Economic, Behaviorist formations, Electronic Journal of sociology, 2005

6-Jermey G. Berneth and H. Jack Walker: Propensity to Trust and the Impact on Social Exchange "An Empirical Investigation" Journal of Leadership and Organization Studies, Vol. 15, No. 3, February 2009.

7- Yeeun Lee and Young-Gun Ko: "Feeling lonely when not Socially Isolated: Social Isolation Moderates the Association Between loneliness and Daily Social Interaction ", Journal of Social and Personal Relationships, vol.35, No. 10, 2018.

8- Michael J. Carter and Fuller: "Symbolic interactionism", California State University Nor Thridge. USA, Socio pedia. Iso, 2015.